الباب الأول
مدخل

الكسوف المقصود هذا ليس كسوف البشر الذى نفتقده بشدة الآن وإنما المقصود كسوف الشمس والكسوف الكلى حدث نادر تتوارى فيه الشمس تماماً عن الرؤية لوقوع القمر بينها وبين الأرض على خط واحد وبمسافات معينة يكون القمر ظاهراً أكبر من الشمس.

تستخدم اللغة العربية لفظين مختلفين لوصف إختفاء ضوء الشمس والقمر فإختفاء الشمس "كسوف" وإختفاء القمر "خسوف" والعربية هكذا أدق من الإنجليزية التى تستخدم لفظاً واحداً لوصف الحالتين هو Eclipse وهى كلمة تعنى اصلاً دخول جرم سماوى فى ظل جرم آخر والمصطلح الإنجليزى هكذا صحيح بالنسبة لكسوف الشمس لأنها لا تدخل على الكسوف فى ظل القمر وإنما هى تتوارى وتحتجب بسبب مرور القمر بينها وبين الأرض وهذا فيه لبس نتجنبه تماماً فى العربية باستخدام كلمتين كل حالة وهذه دقة تحسب لنا ثقافياً وحضارياً هذا بخلاف أننا نستخدم كلمة خسوف للمذكر وكلمة كسوف للمؤنث فنقول خسوف القمر وكسوف الشمس.

تعتبر ظاهرة الكسوف الكلى للشمس ظاهرة أكثر جاذبية وإثارة حيث يرى هذا الكسوف الكلى للشمس عندما يكون الراصد فى الجزء الأكثر إعتاماً من ظل القمر والذى يسمى بمخروط الظل أما الكسوف الجزئى فيرى عندما يقع الراصد فى الجزء الأقل إعتاماً من الظل والذى يسمى بمنطقة شبه الظل انظر الشكل رقم (١).

obeikandl.com

كان الناس فى القديم يخافون من كسوف الشمس مما يخافون من خسوف القمر وذلك لأنهم فهموا أن الشمس لو أختفت نهائياً لماتوا جميعاً.

كانت الشمس تعتبر إلاهاً خيراً يمنح الحياة لكل من يعيش على الأرض وفجأة فى نهار صاف دون غيوم ـ تبدأ بقعة سوداء رهيبة بتغطية وجه الشمس شئياً فشيئاً ثم تتسع البعقة السوداء حتى تعم الشمس بكاملها فلا يبقى منها إلا هلال دقيق يختفى بدورة هو أيضاً هنا يعم الذعر ويظن الناس أن موت الشمس قد حان وأن العالم سيفنى لقد إنطفأت مصدر الحياة وإبتلعتها القوى الشريرة.

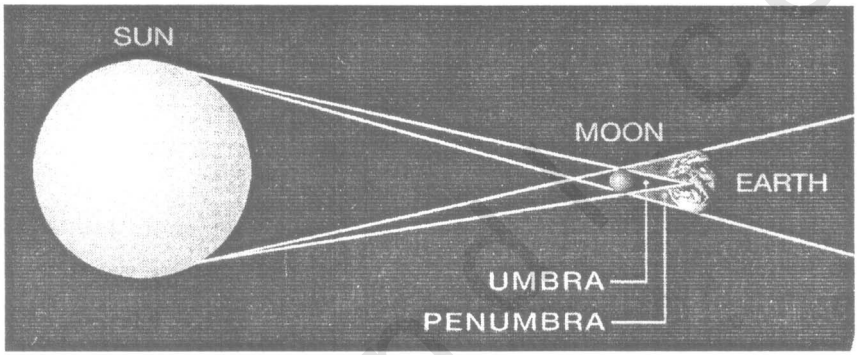

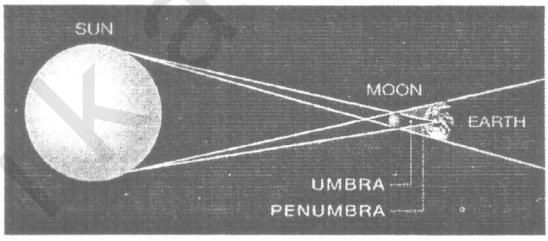

تعليق على الصورة: لظل القمر جزئين: "البينمبرا" أو الظل الخارجى المحيط بالقمر والذى يجوز من خلاله رؤية الكسوف الجزئى للشمس؛ أما "الأمبرا" أو سويداء الظل فهو الجزء الداخلى الداكن لظل القمر الذى يجوز من خلاله رؤية الكسوف الكامل للشمس.

شكل (١)

ثم تعود البهجة إلى حياة البشر فبعد عدة دقائق من الظلام يظهر من جديد طرف الشمس اللماع وتمر نصف ساعة وإذا بالشمس تعود من جديد إلى جمالها المعتاد وصعودها.

أثناء الكسوف يسيطر الخوف والهلع على الحيوانات أيضاً فيخور البقر ويثغو الغنم وتنبح الكلاب وتخرج طيور الليل باحثة عن الغنيمة كما تعود طيور أخرى لتقبع فى أعشاشها.

هناك أسطورة قديمة تخبرنا أن الشمس المكسوفة تلتهم بواسطة مخلوق ضخم غريب الخلقة بحيث أنه يجب على المرء أن يدق الطبول لأبعاد هذا الوحش وإنقاذ الشمس وإلى الآن هذه الأسطورة موجودة فى قرانًا المصرية هذا وتتصرف أنواع كثيرة من الحيوانات أمام الكسوف كما لو أن الليل قد حل ويكون للإنسان أيضًا ردود فعل غير عادية.

الكسوف الشمسى ظاهرة طبيعية مبهرة لاحظها الإنسان منذ آلاف السنين.. فلقد سجل قدماء المصريين هذه الظاهرة ما يقرب من ٣٠٠ حالة كسوف شمسى كما سجل الصينيون نحو ٣٦٠٠ حالة كسوف شمسى. واختلف العلماء فى تفسير هذه الظاهرة بإختلاف العصور والحضارات. فلقد نسج الأقدمون الخرافات والأساطير حولها وحول الظاهرة الكونية بصفة عامة فمنهم من فسرها بإبتلاع التنين أو الحية المقدسة لقرص الشمس ومنهم من تخيل سقوط القمر على الشمس إلى غير ذلك من الأساطير وربطها بعض المنجمين بقدر الإنسان وما يصيبه من كوارث ومحن فى حين ربطها البعض الآخر بنهاية العالم وقيام الساعة ومن المؤسف أنه إلى وقتنا هذا لا يزال البعض يضفى قدسية كاذبة على هذه الظاهرة لا تتمشى مع قدسية العلم ورقى الحضارة ويقام لها طقوس ويكثر من الضجيج وذلك عن طريق قرع الطبول والصفائح حتى تنقشع الظاهرة ويعود للشمس اشراقها المعهود.

أما عند قدماء الروس فكان الخوف نذير بأنواع النكبات وقد كتب أحد المعلقين عام ١٢٤٨م يقول ظهرت إشارة على القمر فبدأ أحمر كالدم ثم تضعضع وفى ذلك الصيف أرسل الخان باتى جيوشه.

وظن أجدادنا أن الخسوف كان نذير غزو التتار وعلى رأسهم الخان باتى وقد وجد فى إحدى المجلات من عام ١٤٧١م الوصف التالى وفى منتصف الليل عم

الظلام وبدأ القمر متخبطا بدمائه وإستمرت الظلمات وقتاً طويلاً ثم عاد النور من جديد شيئاً فشيئاً ..كان الخسوف حدثاً عظيماً فى حياة الشعوب يكتبونه فى تواريخهم.

والكسوف ظاهرة طبيعية إستطاع العلماء مع تقدم علوم الفلك وأجهزة الرصد معرفة أسرارها بعد أن كان القدماء يحيطونها بأساطير جعلت الصينين يفسرونها بأن الشمس تتعرض لتنين بالغ الضخامه يحاول إبتلاع قرصها فكانوا يضربون بالطبول ويقذفون سهامهم إلى أعلى محاولين إخافة التنين وإعادة الشمس إليهم من فمه وعندما يعود القمر إلى الظهر يعم الفرح الشديد لاعتقادهم بأنهم نجحوا فى إخافة التنين وحمله على ترك فريسته.

فى حالة الكسوف وإنتشار الظلام تخرج الحشرات والعقارب والثعابين وغيرها من الحشرات التى تهدد حياة الإنسان فكانوا عندما يدقون الطبول تخاف منها هذه الحشرات وتعود إلى إدراجها مرة أخرى وبذلك يأمن الإنسان شرها.

لكن العلم إستطاع ليس فقط تفسيرهذه الظاهرة بل وتحديد مواعيدها لخمسين سنة قادمة بالدقيقة والثانية والمكان ولهذا كان تحديد مدينة السلوم بالنسبة للكسوف الكلى لعام ٢٠٠٦م منذ سنوات على أساس أن يبدأ مسار الكسوف الكلى للشمس مع شروقها على شاطئ البرازيل ثم تعبر المحيط الأطلنطى إلى خليج غينيا فى أفريقيا ثم دول غرب أفريقيا ونيجيريا والنيجر وتشاد وجنوب ليبيا وبعدها إلى السلوم ثم تركيا وجورجيا وبحر قزوين وكازخستان حيث ينتهى مع غروب الشمس فى سيبيريا.

وعلى كل حال فالعلم يؤكد أن الكسوف الكلى للشمس أو الخسوف الكلى للقمر هى ظواهر طبيعية بحته غير مرتبطة بميلاد أو موت وغير مرتبطة بزلازل أو كوارث طبيعية أخرى بل هى آية من آيات الله فى تنظيم حركة الكون ولا خوف منها بتاتاً ويمكن الاستمتاع بمشاهدتها مع الأخذ فى الإعتبار عدم النظر للشمس مباشرة إلى من خلال نظارات شمسية خاصة بالكسوف "مرشحات ضوئية" حتى لا يلحق الأذى بعيون الراصد أو المشاهد.

ارتبطت الكسوفات الكلية للشمس بثقافات الشعوب القديمة بميلاد أو موت أحد العظماء والقصيدة الإسلامية ترفض هذه الخرافات وقد أرتبط الكسوف الكلى للشمس فى كل ثقافات الشعوب القديمة بأن هناك حيواناً متوحشاً يحاول إبتلاع الشمس وعند المصريين القدماء الحية العملاقة تحاول إبتلاع الشمس لذلك كان هناك طقوس غريبة تعتمد على إثارة الضوضاء والضجيج بأقصى حد حتى تبعد هذه المخلوقات الوحشية الشريرة عند إبتلاع قرص الشمس. ومازالت هذه الثقافة سارية حتى الآن فى بعض مناطق العالم وكانت الألعاب النارية تطلق فى الصين أثناء الكسوف حتى القرن ١٩ بعد الميلاد.

كما أن الكسوف الكلى للشمس أرتبط عند البعض بأنه لقاء الحب الرومانسى فى السماء بين القمر والشمس ولذلك تسمى دقائق الكسوف الكلى للشمس بالاقتران وإن إختلف البعض فى جنس القمر والشمس فالبعض يرى أن الشمس مذكر كما هو فى اللغة الأنجليزية والأسبانية بينما القمر مؤنث والبعض يرى أن الشمس مؤنث والقمر مذكر كما فى اللغة العربية.

كان التنبؤ بالكسوف الكلى للشمس والخسوف الكلى للقمر هم البالبليون فى بلاد ما بين الرافدين فى القرن السابع قبل الميلاد حيث اكتشفوا الدورة الزمنية المرتبطة بحدوث الكسوفات والخسوفات وهى ما تسمى بدورة ساروس ومقداره ٦٥٨٥ يوماً وكذلك معرفتهم بالشهر القمرى التنبئى والذى يبلغ مقداره ٢٧,٢١٢٢٢ يوماً أى أن كل ٢٤٢ شهر قمرياً تنبئياً يساوى ٦٥٨٥,٣٧ أى دورة واحدة كل "ساروس" وكان التنبؤ بالكسوفات والخسوفات أحد مصادر قوة الحضارة البابلية فى بلاد ما بين النهرين قبل الميلاد.

كما أن حضارة قبائل المايا فى أمريكا الوسطى قبل وصول كريستوفر كولومبس كانوا قد توصلوا إلى التنبؤ بالكسوفات والخسوفات من خلال دورة ١٩ عاماً تشابه دورة ساروس.

كما أن حضارة الأزتك ببيرو بشمال أمريكا اللاتينية كانوا قد توصلوا إلى طريقة

للتنبؤ بالكسوفات والخسوفات عن طريق معرفتهم لدورة تسمى بالدورة المكسيكية يبلغ مقدارها ٥٢ عاماً.

وأحد البحوث فى مجال الآثار الفلكية تقول بأن الأثر المسمى ستون هانج بجنوب إنجلترا والذى يرجع تاريخه إلى الألف الثالثة قبل الميلاد كان يستخدم كمرصد محركة الشمس والقمر والتنبؤ بالكسوفات والخسوفات وكلمة كسوف هى فى الأصل كلمة إغريقية ومعناها الصعود ثم الهبوط ـ الشروق ثم الغروب أثناء النهار ـ أو بمعنى آخر السقوط.

ومن الكسوفات الكلية الشهيرة الكسوف الكلى للشمس فى القدس والذى حدث فى ٢٤ نوفمبر عام ٢٩ بعد الميلاد ويربطه علما الغرب المسيحيون بيوم صلب السيد المسيح طبقاً للعقيدة المسيحية كما كتب ذلك كل من "سيرج بيرنير – jaon pierne luminet turg " فى كتبها المسمى "past present on glorious eclipses, their الصادر من مطابع جامعة كمبردج بإنجلترا عام ٢٠٠٠م.

يعتقد المؤلفان الفرنسيان أن هذا الكسوف كان مرتبطاً بزلزال قوى هز أورشليم القدس وفلسطين بأكملهما كما يعتقد المؤلفان ان ميلاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان مرتبطاً بحدوث كسوف كلى بشرق أفريقيا "السودان وأثيوبيا يوم ٢٤ نوفمبر من عام ٥٦٩ بعد الميلاد وأن يوم وفاة إبراهيم بن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان موافقاً لكسوف حلقى للشمس حدث فوق الجزيرة العربية فى ٢٢ يناير ٦٣٢ بعد الميلاد إلا أن العقيدة الإسلامية ترفض أن يكون الكسوف والخسوف مرتبطان بميلاد أو موت أحد بل هى فعلاً أية من آيات الله فى تنظيم حركة الكون وظاهرة طبيعية.

إرتبطت إسطورة الربط ما بين الكسوف الكلى للشمس وحدوث زلازل منذ قديم الزمن ففى القرن الخامس قبل الميلاد فإن المؤرخ الأغريقى Thucy dided ذكر بأنه كان هناك كسوف للشمس عند ميلاد الهلال الجديد وفى النصف الأول من نفس الشهر حدث زلزال كما أن المؤرخ الإغريقى phlegon ذكر حادثة مماثلة أنه فى

السنة الرابعة للأولمبياد ٢٠٢ كان هناك كسوف للشمس عظيم أكبر من أى كسوف سابق له وفى الساعة السادسة أصبح النهار ليلاً وظهرت النجوم لامعة فى السماء ثم حدث زلزال هائل أدى إلى دمار هائل ويعتقد البعض أن هذا هو كسوف ٢٤ نوفمبر عام ٢٩ بعد الميلاد والذى شوهد فى أورشليم القدس.

أما معبد دندرة الذى بناه المصريون فى العصر البطلمى عام ٥٠ قبل الميلاد على الضفة الغربية للنيل بالغرب من مدينة قنا والذى تم العثور على دارة البروج فى أحد أسقفه وتم نقلها لمتحف اللوفر بباريس أثناء الحملة الفرنسية على مصر مع بداية القرن التاسع عشر فإنه يحوى نقوشاً للشمس المجنحة ويعتقد البعض أنها الشمس أثنا كسوف كلى للشمس عندما تبدوا الكورونا "إكليل الشمس" ممتدة مع خطوط القوى المغناطيسة الخارجة من قرص الشمس كما أن هناك نقشاً فريداً لقرد البابون وكان هذا القرد يرمز لأله القمر "خنو" فى العقيدة المصرية القديمة وتشير الحسابات الفلكية إلى أن كسوفاً كليا للشمس حدث فى منطقة دندرة عام ٥٢ قبل الميلاد لذلك فإن هذا المعبد قائم على أسس فلكية تؤكد عبارة قرص الشمس "آمون رع" وقرص العمر "خنو" بجانب أنه مكرس لخدمة الآلهه "حاتحور" إله الحب والجمال عند قدماء المصريين المرتبطة بكوكب الزهرة والشعرى اليمانية نجم الآلهه إيزيس.

هناك بعض الناس من أصحاب القلوب المريضة يريدون بأميتهم أو بأمية من يغوونهم أن يلبسوا عليهم حقائق الدين فيدعون معرفة الغيب والإتصال بعالم الجن وأعوانه ويحتالون بأيات القرآن فى التداوى.

ولقد تصدى القرآن الكريم منذ نزوله لأوهام الخادعين ودعاوى الدجل والشعوذة التى لا تقوم على هداية أو علم فالذين يزعمون الإطلاع على الغيب أبطل الله أكاذيبهم وفرية قلوبهم قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ سورة النمل ٦٥-٦٦

والقرآن يخبر أن رسول الأنسانية الذى أرسله الله رحمة للعالمين لا يعلم الغيب حيث يقول المولى عز وجل فى كتابه العزيز: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ سورة الأعراف ١٨٨

وقد كبرت كلمة تخرج من أفواههم حينما يدعون الأتصال بالجن لجلب الخير أو الشر ولا يمكن الاختلاط بالجن يقول المولى الحق سبحانه وتعالى فى محكم آياته ما نصه: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾.

والشياطين من الجن يوسوسون لبنى آدم ويغوون ضعاف الإيمان ليفدوا فى الأرض كما جاء فى سورة ص: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾.

ويحذر صلى الله عليه وسلم من الكهنة والعرافة لأن الغيب كله لله وهو وحده النافع والضار.

"ليس منا من نظير أو نظير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد".

ولا يليق بعاقل ذى دين وعلم أو حتى أمى لا يكتب ولا يقرأ أن يركن لمثل هذه الأعمال الباطلة أو يزاولها فالله وحده هو علام الغيوب وهو الشافى من كل داء خلقه وإبتلى به عباده وفى القرآن"

والذين يقومون بأعمال الدجل هم الأخسرون إعمالاً ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ولا يفلحون قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ يونس ٨١ .

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ النحل ١٠٥

شكل ٢

إن أهداف الله وتعاليمه تلتقى عند هدف واحد هو هداية الناس أجمعين وإخراجهم من الظلمات إلى النور ومن الجهالة إلى المعرفة من الباطل إلى الحق ومن الجحود الفكرى إلى التحرر الآمن قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ إبراهيم (١).

ويقول أيضاً المولى عز وجل فى كتابه المجيد ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ الجاثية (٢٠).

إن الكسوف للشمس يحدث عندما يكون القمر وليداً ـ يحتمل فقط عند طور القمر الوليد ـ عندما تقع الأرض داخل ظل القمر وتوصل الفيلسوف "أناكجورس" أيضاً إلى أن الخسوف هو تأثير ظلى فالقمر ينخسف يحدث فقط عند طور البدر. وعلى هذا فلماذا لا نرى مثل هذا الكسوف والخسوف كل شهر عند طور القمر الوليد والبدر؟ وتفسير هذا هندسياً هو وجود ميل صغير يقدر بخمس درجات بين مستوى دوران القمر حول الأرض ودوران الأرض حول الشمس. وفى معظم أطوار القمر الوليد والبدر يكون القمر واقعاً فوق أو أسفل خط الشمس ـ الأرض وعلى هذا لا يسبب كسوفاً للشمس ولكن إذا حدث أن وقع القمر فى مستوى مدار الأرض ـ مدار البروج ـ عند طور القمر الوليد فيكون كل من الشمس والقمر والأرض على خط مستقيم واحد ويحدث كسوف شمسى وإذا حدثت الظروف المناظرة لذلك عند طور البدر يحدث خسوف قمرى.